

## الشعر والعبارة

### بين القومية والاجتماع

زار مصر منذ سبع سنوات ، الكاتب العالمي "أندريه موروا André Mourois وهو إلى جانب كتابة القصة والترجمة ، وعلو شأنه في الإلمام بحركة الأدب العالمية ، ودراستها في شتى مناحيها وأطوارها ، صحفى خبير بشؤون الاجتماع وأسرارده ، وقد وجه الكاتب الفرنسى الشهير ، نصيحة إلى أدباء مصر المحترفين ، نجترى منها هذه الكلمات :

" إن هذا البلد ملىء بالمواد الكتابية البكر ، وقد قرأت بعض مقطوعات شعرية لشاعر مصرى وأعجبت بها كثيرا ، وميدان الخلق الأدبى فى مصر واسع ، وكل ما يطلب منكم هو التصوير الصادق لهذه الحياة التى تعيشون ، ومن حسن الحظ أنها مازالت بكرًا ، وفرص الاحسان والإجادة ليست بالبعيدة النائية " . . . وإذا كان " أندريه موروا " André Mourois قد اتجه بهذه الكلمات إلى أدباء مصر عامة فأننا أذفها إلى شعرائنا خاصة ما دام قد حظى واحد منهم بتقدير الرجل وإعجابيه ، . . . وكلمة الرجل هذه تنخص إحدى الفكرتين اللتين أريد أن أجبل الحديث فيهما ، فهو يقطع بوجود مواد الكتابة ، ولا يجحد تفوقا لشاعر مصرى ، غير أنه يطلب صدق تصوير هذه الحياة وهذا ليس بالشىء العسير . والذى لا جدال فيه ، أن المجتمع المصرى إذا كان منذ سبع سنوات زانرا ببواعث الكتابة والإنشاء ، فهو فى هذه الأيام أكثر وأشد ، فلم لا يستوحى الشاعر من أحداثه ومآسيه . قصائد ومقطوعات ؟ إذا كانت هذه الأحداث والمآسى تترك من الإحساس ، وتبيح هامد المعاطفة ، وتدفع لنا أخير غذاء فسى ، نبنى فيها روح انقومية والاعتداد . وقد أصبحنا أحرارا فى توجيه سياستنا ، والسير بامتنا إلى أمثل الطرق وأقومها ؟

إن الأدب في كل عصر من العصور كان اللسان الناطق بما يجيش في صدر الأمم من الآماني والآمال وما يكتنف حياتها من الآلام والأدواء ، كما كان سجلا لحوادثها وتطوراتها العامة . وكذلك يجب أن يكون من بين أدبائنا وشعرائنا من يؤدي هذه الوظيفة للشعب الذي يعيش فيه .

إن الشعراء في هذا العصر عاكفون على أنفسهم ، مبتعدون عن ضخمة الحياة وزحمة المجتمع في عصر نحن أحوج ما نكون فيه إلى أن تكون أدواء المجتمع هي الشغل الشاغل لكل مفكر وكاتب وشاعر حتى يتعاون الجميع على تصويرها واستنهاض الهمم لعلاجها .

وإذا نظرنا إلى الشعر بهذه العين وبـ: دناه مقعرا متخلفا في حين أن الزجل قد قام بهذه المهمة خيرا منه .

أماي وأنا أكتب هذه السطور مجموعة مطبوعة من أرجال الأستاذ "يريم التونسي" ، وأستطيع أن أقول في غير غلو ، إن زجل يريم يزن بقيمته الفنية أضعاف ما احتوته دواوين بعض الشبان ، من بضاعة مزجاة . وأتقل للقارئ ما صادفني اتفاقا وأنا أفصح هذه المجموعة الصغيرة ، قال يريم تحت هاتين الكلمتين "العامل المصري" :

ليه	أمشي	حافي	وأنا	منبت	مراكيبكم
ليه	فرشي	عريان	ونا	منجد	مراتبكم
ليه	بتي	نربان	ونا	نجان	دواليكم

هي كده قسمتي ؟ ؟

الله يحاسبكم !!

ساكنين	علالي	العتب	ونا	اللى	بانها
فارشين	مقارش	قصب	نايغ	حواشها	
قائنين	سواق	ذهب	ونا	اللى	أدور فيها

يارب ما هوش حسد

لكن بعاتبكم

من الصباح لسا ؟ والمطرقة فيدى  
صابر على دى الأنا حتى نهار عيدى  
ابن السبيل انكى واصحب حراييدى

تتعروا من مشيتى  
وايحجل أخطابكم

•

ليه تدمونى ونا اللي عزمك بانى  
أنا اللي فوق جسمك قطنى ودانى  
وعيتى يوم دفتى مالقينش أكفانى •  
حتى الأسيية  
ونا راحل وسايكم

أليست هذه حقيقة العامل المصرى التى تنادينا وتراوحنا ؟ وممها الرجل ولم يسمعها  
”فن الشعراء“ . . . ثم المرأة التى لم يقنع منها هؤلاء بعشرات القصائد المزورات على صادق  
الشعور ، وكريم الإحساس ، قال فيها يرم هذا الرجل :

يا بنت بانى الهرم اتى هلاهيك  
والبرقع اللى انخرم ويا خلاخيلك  
يكفى لومان فى الحرم فى قيد خلاخيلك  
ما شفت زيك سجين ساكت ومناوى

غلبت أقول للرجال خلوا المره حرة  
تخش زخره المجال تفهم وتتدرى  
العاقلة بنت الحلال ما يضرهاش بره  
لكن بتنصح فى مين روس جامده سنطاوى

راية ولاد العرب في الأرض منكوسه  
 طول عمرها والسبب "إحسان" و"نقومه"  
 والله اللي قال ماكذب نسوانا موكوسه  
 حتى اللي متعلمين بردون باشعراوى

جهل النسا بالعلوم خلانا أنتيكه  
 نفهم في فن المردوم رقعة وتشنيكه  
 وفي البلد عالموم ماتلقى فابريكه  
 غير فابريكات الطحين فليحي بدراوى

إن كانت أم الولد في الزار بتبخر  
 تجيب حمار للبلد في القطن يتسخر  
 قبل الحخير يخبلد لو مل واناخر  
 وسيد الشغالين هو الأورباوى

يا بنت بانى القصور راجل يناديكى  
 بينه وبينك ستور مدى أياديكى  
 وفكى عنه السيور الله يقوىكى  
 وكوفى ايده اليمين في اللي عليه ناوى

وفي زجل آخر بعنوان "ناظر الوقف" يقول :

يا ناظر الوقف من رب العباد ما تخاف

ولا المحاكم بتملك منك الإنصاف

وان كنت اجازف وأقول إن البعيد خطاف

أطلع أنا المعتدى وانت من الأشراف

الوقف لك مملكة والعدل عنها فاب

لا يربان يخضعك فيها ولا نواب

عشر سنين وانت تبلى لم حسب حساب

والمستحقين وراك ما يلتقوا عيش حاف

أول سنة رحمت لك أما أوفى الدين  
ثاني سنة قولت لي جارى صلاح العين  
ثالث سنة رحمت انا حجيت وزرت الزين  
رابع سنة رحمت لك كنت انت في الأرياف

خامس سنة نعمت بالمحكمة خشيت  
لحد قاضي الشريعة بالبساط وبكيت  
طول لتاسع سنة جبل القضية ياريت  
سامت أمري لربي ، خافي الألفاف

يا ناظر الوقف خليت العبارة خل  
وانت اللي صبحت وقف المسلمين ينخل  
بكره الأيادي الجديبة بالفلوس تنبل  
ويسربوها على أروام وبنسونات

... لا أريد أن أزيد على هذا القدر، فقد جئت به على سبيل المثال لاطي سبيل الحصر،  
لأرى بعض الثبان أن هذا الذي تسلموه تركه عن الأسلاف الكرام ، لم يعد صالحا أن يجروا  
عليه بجهورهم وأوزانهم، ولكل جيل حاجات وأطامع. لا تقولوا إذا كان على الشعر أن يعرض  
أدواء المجتمع ويصف الدواء ، فأين القصة والمقالة ؟

وفي يقيني أن الحياة المصرية لم تفقد الجوانب الانسانية ، التي تستفز الشعور الصادق  
في النفس الشاعرة الحساسة . . . " وللشعراء المتصوفين " بعد ذلك وجدانيتهم ، ومن  
المنافذ التي يستطيع هؤلاء أن يصلوا منها إلى أخلاق الناس وقلوبهم " الأغاني " فإذا  
يتمع لو بلور الشعر أمانى المجتمع ورغباته في ألحانه وأنغامه بدل هذه الأغنيات المائنة  
المريضة التي تدور حول معان مبتذلة في الحب الإنسانية منها براء ؟

أحمد عبد المجيد الفزالي